جامعة منتوري – قسنطينة

مختبر الدراسات اللغوية

الرِّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَةُ

مجلة علمية لغوية متخصصة ومحكمة تصدر عن مختبر

العدد 006 السنة 1431هـ

2010م

الدّرَاسَاتُ اللُّغَوِيَةُ

المدير الشرفي: أ.د عبد الحميد جكون رئيس الجامعة

مدير المجلة مسؤول النشر: أ.د يمينة بن مالك

رئيس التحرير: أ.د عبد الله بوخلخال

هيئة التحرير

أ.د يمينة بن مالك	**أ.د عبد الله بوخلخال**	**د.محي الدين سالم**
أ.د عزيز لعكايشي	**د.عثمان طيبة**	**أ.عبد السلام غجاتي**
	د. ابراهيم قلاتي	

الهيئة العلمية

أ. د يمينة بن مالك	**أ. د محمد كراكبي**	**أ. د حسن كاتب**
أ. د عبد الله بوخلخال	**أ. د بلقاسم ليباريز**	**أ. د السعيد هادف**
أ . رابح دوب	**أ. د الأخضر عيكوس**	**أ. د الربعي بن سلامة**
	د. إبراهيم قلاتي	

الدراسات اللغوية

مجلة لغوية محكمة تصدر عن مختبر الدراسات اللغوية

شروط النشر:

1- تبعث المقالات مطبوعة على جهاز الحاسوب مصحوبة بالقرص المرن.

2- أن يكون البحث جديدا ولم يسبق نشره.

3- لا تزيد صفحات البحث عن عشرين صفحة.

4- تخضع المواد المقدمة للنشر إلى تقييم علمي سري.

موضوعات العدد

تصدير 06

1. الاستشراق: اللغة من الوظيفة إلى التوظيفية. 07
أ.د حسين خمري

2. الرواية الجزائرية المعاصرة والتداخل اللغوي 25
أ.د رشيد قريبع

3. سمات الطفل الموهوب لغويا وطرائق تنميتها. 41
أ. زين الدين بن موسى

4. قراءة في قصيدة (حيزية) للشاعر أحمد بن قيطون. 73
أ. السعيد بحري

5. القراءات القرآنية والدرس اللغوي العربي
(جهود أبي عمرو بن العلاء ويعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي نموذجا) 93
أ. عبد السلام غجاتي

6. العلاقة بين اللفظ والمعنى بين المفهوم المعجمي والاستعمال عند البشير الإبراهيمي من خلال عيون البصائر. 123
أ.د عبد الله بو خلخال

7. قراءة الحسن البصري دراسة صوتية تحليلية 139
أ. عبد الوهاب شيباني

8. الحوار مع الآخر بين ثقافة الهامش وثقافة المركز في عصر العولمة. 165

أ.د عزيز العكايشي

9.نشاط القراءة في التعليم الأساسي الجزائري.
أ.د محمد كراكبي **185**

10. لغات الأسماء الموصولة في الفصيح من كلام العرب.
أ.د محمد مشري **207**

11.مبادئ النحو البنيوي، دراسة تطبيقية.
د. يحي بعيطش **233**

12. البنية والبنيوية في المعاجم والدراسات الأدبية واللسانية العربية.(بحث في النسبة اللغوية والاصطلاح النقدي). **257**
د. يوسف وغليسي

5

القراءات القرآنية و الدرس اللغوي العربي
جهود أبي عمرو بن العلاء و يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي أنموذجا

الأستاذ : عبد السلام غجاتي

أستاذ مكلف بالدروس

قسم اللغة العربية و آدابها

كلية الآداب و اللغات

جامعة منتوري ـ قسنطينة ، الجزائر

القراءات القرآنية و الدرس اللغوي العربي
جهود أبي عمرو بن العلاء و يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي أنموذجا

الأستاذ : عبد السلام غجاتي
أستاذ مكلف بالدروس
قسم اللغة العربية و آدابها
كلية الآداب واللغات
جامعة منتوري ـ قسنطينة ـ الجزائر

تمهيد:

تعد القراءات القرآنية من مصادر اللغويين العرب التي استقوا منها مادتهم[1] ، لذلك من المفيد ـ هنا ـ الإشارة إلى الفرق بين القرآن الكريم والقراءات القرآنية. وفي هذا الصدد أورد السيوطي تحديد الزركشي لهذا الفرق بقوله: "القرآن والقراءات حقيقتان متغايرتان، فالقرآن هو الوحي المنزل على محمد صلى الله عليه وسلم للبيان والإعجاز، والقراءات

اختلاف الوحي المذكور في الحروف وكيفيتها من تخفيف وتشديد وغيرهما..." [2] .

والقراءات القرآنية بتعريف أحد المحدثين هي الوجوه المختلفة التي سمح النبي بقراءة نص المصحف بها قصدا للتيسير، و لتي جاءت وفقا للهجة من اللهجات العربية.[3]

وهذا التعريف يطابق قول ابن قتيبة: " فكان من تيسيره أن أمره بأن يُقرئ كل قوم بلغتهم وما جرت عليه عادتهم: فالهذلي يقرأ «عتى حين» يريد « حتى حين »[4] ، لأنه هكذا يلفظ بها و يستعملها، والأسدي يقرأ : تِعلمون وتِعلم و« تِسودّ وجوه» (آل عمران/ 106)، و«ألم إِعهد إليكم» (يس/60). والتميمي يهمز، والقرشي لا يهمز... . ولو أن كل فريق من هؤلاء أمر أن يزول عن لغته ، وما جرى عليه اعتياده طفلا وناشئا وكهلا لاشتدّ ذلك عليه، وعظمت المحنة فيه، ولم يمكنه إلا بعد رياضة للنفس طويلة، وتذليل للسان، وقطع للعادة، فأراد الله برحمته ولطفه، أن يجعل لهم مُتّسعا في اللغات، ومُتصرّفا في الحركات ...".[5]

وإذا كانت القراءات قد جاءت وفق لهجات العرب، فقد قابلها علماء اللغة بالتأويل والنقد، والمطابقة لمقاييس العربية، حتى ذهب أحد الباحثين المحدثين إلى القول "ولم أجد أحدا من علماء اللغة كان مذهبه دائما الانتصار للقراءة، والاحتجاج بها ... " . [6]

وهذا الرأي يلخص لنا جانبا من الخلاف القديم الذي كان يدور بين النحويين و القراء من جهة ، وتباين الموقف بين مدرستي البصرة والكوفة في مسألة الاحتجاج بالقراءات من جهة أخرى .

وإذا كان " معظم البصريين لا يحتجون بالقراءات إلا حينما تتفق مع أصولهم ، وتتلاءم مع قواعدهم"[7] ، فإن الكوفيين يرون "أن القراءات سندها الرواية ، وهي من أجل هذا أقوى في مجال الاستشهاد من الشعر وغيره. والقراءات في نظرهم يجب أن تشتق منها المقاييس، وتستمد الأصول. وهذا المنهج الكوفي في الاستشهاد بالقراءات منهج سليم – من وجهة نظرنا – لأنه يثري اللغة، ويزيد من رصيدها، ويجعلها غنية بأساليبها على الدوام " [8] .

القراءات و نشأة النحو:

إن الحركة اللغوية بعامة، والنحوية بخاصة، بدأت أول ما بدأت بدافع من إقبال الأقوام الأعجمية الداخلة في دين الله أفواجا، على تعلّم العربية وقراءة القرآن الكريم الذي هو السجل الجامع لأمور الدين، من عبادة، وتشريع، وتنظيم لعلاقات المسلمين بعضهم ببعض. فقد كان "من الضرورة الماسّة أن يفهم هذا العدد الغفير من الداخلين حديثا في الإسلام، والناشئين في بيئات لا تتكلم العربية، كلام الله فهمًا كاملا، وأن يحسن

أداءه في الصلاة المفروضة، ليس هذا فقط، بل لقد كان من الضرورة الماسّة أن تمهّد السبيل أمام هؤلاء الأعاجم إلى امتلاك ناصية الدقائق المعنوية في العربية، والتضلع من متنها الزاخر بالمفردات ... " [9] .

إن الرعيل الأول من الساهرين على تعليم تلك الأقوام الأعجمية ، كان لابد أن يصطدموا بمشكلات لغوية أجبرتهم على إجالة النظر في تراثهم اللغوي وفي كتابهم الكريم ، وتسجيل ملاحظاتهم عليها، فتكَوّن من تلك الأنظار وهذه الملاحظات نواة علم "النحو" . ولقد كان أبناء هذا الرعيل، وكلّهم من قرّاء القرآن والمقرئين، ورثوا طائفة من وجوه القراءات هي سابقة في الزمن ولا شك على الاشتغال باللغة والنحو . فمن الطبيعي، والحالة هذه، أن يُورثها بدورهم تلاميذهم وأن يحاول هؤلاء التلاميذ مع الزمن تأويلها وتعليلها حين بدأت تتكون مقومات البحث المنهجي العلمي .

وهذا هو بالضبط ما حدث على يد الطبقتين الثالثة والرابعة من نحاة البصرة أمثال عبد الله بن أبي إسحق الحضرمي، وعمر بن عيسى الثقفي، وأبي عمرو بن العلاء. لأننا لا ننسى أن الحركة اللغوية والنحوية إنما قامت بالدرجة الأولى لصون القرآن الكريم من اللحن، وأن سيبويه إنّما جمع كتابه ليكون منارا يهدي المتعلمين، وبخاصة الأعاجم، إلى لغة القرآن[10] .

لكن التأويلات والتخريجات التي ظهرت في تلك الحقبة من الزمن، لم تكن على الرغم مما فيها من خلاف ظاهر بين مؤسسي المدرسة البصرية في النحو أنفسهم من نوع الخلافات الحادّة التي ظهرت فيما بعد بين

أقطاب المدرستين البصرية والكوفية وما تبعهما من مدارس، ولا كان من نوع التأويلات المنطقية التي امتلأت بها بطون كتب النحو المتأخرة، وإنّما كانت ترتدي طابع البساطة ولا تحيد عن طبيعة القراءة، بحرف موروث عن أحد علماء السلف الصالح.

نماذج من هذه الخلافات:

1- قرأ ابن أبي اسحاق «هؤلاء بناتي هنّ أطهرَ لكم» (هود / 78) بنصب كلمة « أطهرَ » وخرّج ابن جني هذه القراءة كالتالي في كتابه (المحتسب في القراءات):

- أن تجعل «هنّ» أحد جزأي الجملة، وتجعلها خبرًا لـ «بَنَاتي» كقولك (زيد أخوك هو)، وتجعل «أطهر » حالا من « هنّ » أو من «بناتي» والعامل فيه معنى الإشارة كقولك: (هذا زيد هو قائما).

أمّا سيبويه فقد ضعّف قراءة النّصب هذه، وحُجّته في ذلك أنّ من قرأ بها قد جعل (هنّ) فصلا، وليست بين أحد الجزأين اللذين هما مبتدأ وخبر ونحو ذلك، كقولك (ظننت زيدا هو خيرا منك)، و(كان زيد هو القائم).

وقد تابع عيسى بن عمر الثقفي ابنَ أبي إسحاق في قراءة نصب «أطهرَ» فأنكرها عليه معاصره أبو عَمْرو بن العلاء. ودارت بين الإثنين

مناظرة قال فيها أبو عمرو لعيسى: "كيف تقول هؤلاء بنيّ، هم ماذا؟" فقال عيسى: "عشرين رجلاً "، فأنكر ذلك أبو عمرو [11] .

ويُستنتج من هذه الرواية أنّ مناظرة الرجلين لم تتّسم بأي طابع من طوابع الجدل المنطقي، فكلّ ما يُفهم منها أنّ عيسى ظل منسجما مع نفسه حين أجاب بـ "عشرين" على قياس «أطهرَ» (بالنصب). ولم يزد أبو عَمرو على إنكاره ذاك الجواب كما أنكر قراءة النّصب في أطهر.

2 – كان ابن أبي إسحاق يقرأ كلمتي « قُبُل » و« دُبُر » (يوسف / 26 ، 27) بثلاث ضَمّات في كلّ منهما من غير تنوين. وقد خرّج ابن جنّي هذه القراءة على أنّ قارئها جعل من الكلمتين غايتين (أي ظرفين) كقول الله عز و جل: « لله الأمر من قبل و من بعد» (الروم/04). أي أنه أراد " قُدّ قميصُه من قُبُله، وقُدّ قميصه من دُبُره " ولمّا حذف المضاف إليه، وهو الضمير ، صار المضاف غاية بحدّ ذاته. وممّا يؤكد كون (قُبُل) و(دُبُر) من الظروف قول الفرزدق [12]:

يُطاعن قُبْلَ الخيْل وهو أمامها ويطعن عن أدبارها إن تَوَلّتِ.

و يُؤكّده كذلك قوله سبحانه و تعالى « ومن الليل فسَبّحه وإدبارَ السُّجود » (ق / 40) .

3 – و قرأ ابن أبي إسحاق، و تابعه في ذلك عيسى بن عمر الثقفي ، « الزانيةَ والزانيَ » (النور/24) و« السارقَ والسارقةَ» (المائدة/5) بالنّصب في كلّ منهما، وهو خلاف ما قرأ به القرّاء [13] .

4 – وقرأ كذلك « والمُقيمي الصّلاةَ » بحذف نون «المُقيمين» ونصب كلمة «الصلاةَ» (الحج/35). وقد خرّج ابن جنّي هذه القراءة على أنّها من قَبيل حذف النون تخفيفًا لا بقصد الإضافة. واستشهد على ذلك بقول الأخطل [14] :

أبني كُليب إنّ عَمَّيَّ اللّذَا قتَلا المُلوكَ ، و فكّكا الأغلالا .

فحذف نون « اللذان » .

5 – و قرأ: «يا ليتنا نُردّ ولا نُكذّبَ بآيات ربّنا ونكونَ من المؤمنين» (الأنعام /27) بنصب الفعلين(نكذّبَ) و(نكُونَ)، و كأنّه اعتبر (الواو) التي قبل (لا) واو المعيّة التي تنصب المضارع بعد التمنّي. ويبدو أن سيبويه لم تكن تُعجبه هذه القراءة، وكان يُفضّل عليها قراءة الرفع.

6 – وقرأ: «بلاغًا فهل يُهلكُ إلا القوم الفاسقون» (الأحقاف/ 35) بنصب (بلاغ) بدلا من رفعها كما هي القراءة المشهورة برواية حفص، و كأنه أضمر له فعلا ، أي بلغوا بلاغًا ، كما يقول ابن جنّي ، و تابعه في النصب عيسى بن عمر .

7– و قرأ : « إن يكن غنيًّا أو فقيرًا فالله أَوْلى بهما » (النساء / 135) بنصب " غنيّ " و"فقير" بدلا من رفعهما كما هي القراءة المشهورة، و قد نُسبت هذه القراءة إلى أبيّ بن كعب كما في "كتاب المصاحف" لأبي داود السجستاني.

و أما أبو عَمرو بن العلاء فسنكتفي هنا بنقل مسألة واحدة عنه، إذ إنه في عداد القرّاء السبعة. فقد كان الرجل على ما يبدو يرفض قراءة الرفع في "أيّهم" من قوله تعالى «ثم لَنَنْزِعَنَّ من كُلّ شِيعة أيّهم أشدّ» (مريم/69)، بل يُصحّحها لمن يقرأ بها طالبا إليه نصبها. وكان يقول "خرجت من الخندق" يعني خندق البصرة، حتى صرت إلى مكة، لم أسمع أحدا يقول «اضرب أيهم أفضل » أي كلهم ينصبون .

وكان يونس بن حبيب وهو من أصحاب أبي عمرو بن العلاء ، يقرأ برفع « أيّهم »، ويُعلّل لقراءته بأن الكلمة مبتدأ وخبره "أشد " . وأن الفعل (لننزعن) بمنزلة الأفعال التي تلغى ولا تعمل. ومع يونس بن حبيب والخليل بن أحمد وتلميذهما سيبويه على الأخص استوى عود النحو من حيث منهجية البحث، ورسخت أسس المدرسة البصرية في النحو، ولا سيما في مجال القياس .

وليس من شك في أن هؤلاء الأقطاب الثلاثة قد أجالوا أنظارهم في مختلف وجوه القراءات وما نتج عنها من خلافات في وجوه الإعراب للكلمة الواحدة. لكن ما نعرفه من منهجهم أنهم استبعدوا الاستشهاد بالقراءات إلا إذا كان هناك شعر يسندها ، أو كلام عربي يؤيّدها، أو قياس يدعّمها[15] .

ثم إن النحاة البصريين الذين تلوهم وقفوا محتارين أمام بعض الظواهر الإعرابية التي وردت بها القراءات، بعد أن أجمعت الأمّة على

اختيار أئمّة القراءة السبعة ثم العشرة ، فما كان منهم إلا أن قالوا بأن القراءة سنّة لا يجوز التعرّض لها بنقد أو تخطئة، و ظلّوا على موقف أسلافهم في سلك القراءات في فئة على حدة ، وعدم الاستشهاد بها، ولا سيما إذا كانت مخالِفة لقواعدهم .

ويظهر – من هذا – أن موقف البصريين يبدو من الغرابة بمكان، لأنه لا خلاف على أن القرآن الكريم أصل من أصول الدراسات اللغوية بمختلف فروعها، وكان من المفترض أن يُبنى كثير من قواعد النحو على شواهده، بمختلف وجوه القراءات المتواترة التي صحّ سندُها، بَدَل أن يحاول العديد من النّحاة فرض قواعدهم على اللغة وتجاهل القرآن والقراءات مع الاعتذار لأنفسهم بأنّها سُنّة لا يجوز التعرّض لها .

وقد يكون بعض المشتغلين بعلوم القرآن الكريم قد قَسَوا على النحاة إلى درجة اتّهامهم بأنّهم جعلوا الشعر أصلا للقرآن، كما يقول أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري (ت 328 هـ). وقد دافع هذا الرجل عن النحويين قائلا بأن الأمر ليس كذلك و"إنما أرادوا أن يتبيّنوا الحرف الغريب من القرآن بالشعر، لأن الله تعالى قال «إنّا جعَلناهُ قُرْآنًا عرَبِيًّا» (الزخرف/ 3)، وقال : « بلسان عربيّ مبين » (الشعراء / 195). وقال ابن عباس (الشعر ديوان العرب، فإذا خفي عليهم الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعوا إلى ديوانها فالتمسوا معرفة ذلك منه)؛ و عن عكرمة عن

ابن عباس أنه قال: (إذا أعيتكم العربية في القرآن فالتمسوها في الشعر، فإنّه ديوان العرب)".

بعض الفوائد من تعدد القراءات :

لم يلق كتاب في تاريخ الإنسانية ما لقيه القرآن الكريم من عناية واهتمام. ولا غرو في ذلك، فهو كتاب رب العالمين، الخالد إلى يوم الدين، وهو إلى الناس أجمعين. إنه كتاب البشرية جمعاء على مر العصور والدهور، واختلاف الأماكن والبقاع. وكان للمسلمين شرف الاهتمام بهذا الكتاب والعناية به، تلاوة وحفظاً، وشرحاً وتفسيراً، وتعلّماً وتعليماً.

وكان الاهتمام بالقراءات القرآنية جانباً من الجوانب التي شدّت انتباه العلماء، ودفعت بعضهم للانقطاع وتلقي تلك القراءات وجمعها، وتعليمها وتدوينها، حتى نشأ ما أطلق عليه (علم القراءات).

وقد بحث العلماء تحت هذا العلم العديد من المسائل المتعلقة بالقراءات القرآنية، كعددها، وأنواعها، وأهمّيتها العلمية، و سأحاول في هذه السطور الوقوف على أهم الفوائد التي ذكرها العلماء لتعدّد القراءات القرآنية.

فمن تلك الفوائد :

* التخفيف على هذه الأمّة والتيسير عليها، يدلّ على هذا الأمر تواتر قراءة القرآن إلينا بأكثر من وجه ، وتلقّي الأمّة ذلك بالقبول سَلفًا وخَلفًا من غير

نكير. وقد نبّه إلى هذه الفائدة أئمة هذا الشأن من أمثال ابن قتيبة ، وابن الجزري ، وغيرهما.

*** ومن فوائد ذلك إظهار نهاية البلاغة، وكمال الإعجاز، وغاية الاختصار، وجمال الإيجاز. وبيان ذلك أن كلّ قراءة بمنزلة الآية، وتنوّع اللفظ بكلمة واحدة تقوم مقام عدّة آيات، فلو كان كلّ لفظٍ آية لكان في ذلك تطويلاً وخروجاً عن سَنَن البلاغة العربية ونهجها.**

*** ثم إن تعدّد القراءات القرآنية كان من الأدلة التي اعتمدها العلماء في بيان صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وما جاء به، و وجه ذلك أنّه على الرّغم من تعدّد القراءات وكثرتها، لم يتطرق إلى القرآن أي تضاد أو تناقض أو تخالف، بل كلّه يصدق بعضه بعضاً، ويؤيّد أوّله آخره، وآخره أوله، تصديقاً لقوله تعالى: « أفلا يتدبّرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرًا» (النساء:82).**

*** وقالوا أيضاً: إن تعدّد القراءات فيه دلالة على إعجاز هذا الكتاب، وأنه من عند رب العالمين، وبيانه أن كل قراءة من القراءات تحمل وجهاً من وجوه الإعجاز ليس في غيرها، وبعبارة أخرى، إن القرآن معجز إذا قُرئ بهذه القراءة مثلاً، ومعجز كذلك إذا قُرئ بقراءة ثانية وثالثة وهكذا، ومن هنا تعددت معجزاته بتعدد قراءاته .**

* ومن فوائد تعدد القراءات – علاوة على ما تقدم – سهولة حفظ القرآن الكريم، وتيسير نقله على هذه الأمة جيلاً بعد جيل، يدل على هذا المعنى، أنّ حفظ كلمة منه بأكثر من قراءة، يكون أسهل في تعلّمه وتعليمه، وأوفق لطبيعة لسان العرب، الذي نزل القرآن على وفق أساليب لغتهم، وتعدد لهجاتهم .

* ومن ذلك أيضًا إعظام أجور هذه الأمة، من جهة أنّهم يبذلون أقصى جهدهم في تتبع معاني ألفاظه، واستنباط حِكَمِهِ وأحكامه، فضلاً على ما في تلاوته – بقراءاته المختلفة – من مزيد الثواب وجزيل الفضل، تحقيقاً وتصديقاً لما أخبر به النبيّ الكريم ، بقوله: (من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة) رواه الترمذي ، وقال: حديث حسن صحيح .

* وكان من فوائد تعدّد القراءات، ظهور سرّ الله تعالى في تولّيه حفظ كتابه العزيز، وصيانة كلامه المنزَّل، بأوفى بيان وأوضح بلاغ، يرشد لهذا المعنى، أن الله سبحانه لم يخل عصراً من العصور، من إمام حجّة قائم على نقل كتابه وإيصاله إلى عباده، مع إتقان حروفه ورواياته، وبيان وجوهه وقراءاته، وفي ذلك تصديق لقوله تعالى: « إنا نحن نزّلنا الذّكر وإنّا له لحافظون»(الحجر:9) .

هذه بعض فوائد تعدّد القراءات القرآنية، أوردتها في هذا السياق بشيء من الإيجاز، للتذكير بأهمية معرفة وجوه القراءات ، هذا العلم الذي تنافس

علماؤه في تبسيطه و تيسيره ، و ذلك بما بذلوه من جهود جبّارة منذ رواده الأوائل .

و نواصل بهذا الصدد التعرض لأهم مؤسسي علم القراءات ، و سيكون أبو عمرو بن العلاء و الإمام يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي من هؤلاء الرواد ، و الذين سنتعرض أدناه لحياتهما وجهودهما في علم القراءات وأشهر من روى قراءتهما ثم لمنهجهما في القراءة .

أبو عمرو بن العلاء :

هو زبان بن العلاء بن عمار بن عبد الله بن الحصين بن الحارث ينتهي إلى معد بن عدنان التميمي المازني المقرئ النحوي أحد القراء السبعة وقيل اسمه العريان وقيل غير ذلك، وقد اختلف في اسمه على عشرين قولاً... .

مَوْلِدُه :

اختلف في سنة مولده فقيل: سنة ثمان وستين وقيل سنة سبعين وقيل سنة خمس وستين وقيل سنة خمس وخمسين.

البَلَد التي وُلِد فِيها :

ولد أبو عَمرو البصري بمكة ونشأ بالبصرة، وتوجّه مع أبيه لما هرب من الحجاج فقرأ بمكة والمدينة ، وقرأ بالكوفة و البصرة على جماعات كثيرة ... .

شيوخه :

ليس في القرّاء السبعة أكثر شيوخاً منه، وقد حدّث باليسير عن أنس بن مالك رضي الله عنه، ويحيى بن يعمر، ومجاهد، وأبي صالح السمان، وأبي رجاء العطاردي، ونافع العمري، وعطاء بن أبي رباح، وابن شهاب، وقرأ القرآن على سعيد بن جبير، ومجاهد، ويحيى بن يعمر، وعكرمة، وابن كثير، وغيرهم ؛ وورد أنه تلا على أبي العالية الرياحي، وقد كان معه بالبصرة.

تلامِيذه:

العباس بن الفضل، وعبد الوارث بن سعيد، وشجاع البلخي، وحسين الجعفي، ومعاذ بن معاذ، ويونس بن حبيب النحوي، وسهل بن يوسف، وأبو زيد الأنصاري سعيد بن أوس ، إلخ ... .

وحدّث عنه : شعبة، وحماد بن زيد، وأبو أسامة، والأصمعي، وشبابة بن سوار، ويعلى بن عبيد، وأبو عبيدة اللغوي، وآخرون.

وأما أشهر تلاميذه فقد أشار إليهم الإمام الشاطبي بعد أن ذكر شيخَهم أبا عمرو فقال:

أَفاضَ علَى يَحْيَى الْيَزيدِيِّ سَيْبَهُ فَأَصْبَحَ بِالْعَذْبِ الْفُرَاتِ مُعَلَّلاَ .

و هو أبو محمد يحيى بن المبارك العدوي التميمي وعرف باليزيدي لأنه كان منقطعا إلى يزيد بن منصور خال المهدي يؤدّب ولده فنُسب إليه ثم اتّصل بالرشيد فجعل المأمون في حجره يُؤدّبه ومات في أيامه سنة اثنتين ومائتين.

ثم ذكر الراوي الآخر فقال:

أَبُو عُمَرَ الدُّورِي وصالِحُهُمْ أَبو شُعَيْبٍ هُوَ السُّوسِيُّ عنْهُ تَقَبَّلاَ .

ذكر اثنين ممن قرأ على اليزيدي ، أحدهما أبو عمر حفص بن عمر الأزدي الدوري الضرير نسبة إلى الدور موضع ببغداد بالجانب الشرقي مات سنة ست وأربعين ومائتين، والثاني أبو شعيب صالح بن زياد السوسي نُسب إلى السوس موضع بالأهواز ومات بالرقة سنة إحدى وستين ومائتين في المحرم.

مؤلّفاته :

قيل: كانت دفاتره ملء بيت إلى السقف، ثم تنسّك فأحرقها.

ثَناء العلماء عليه :

قال عنه الإمام الشاطبي في مقدمة متن الشاطبية:

وأَمّا الإْمامُ المازِنِيُّ صرِيحُهُم أَبُو عَمْرٍو الْبَصْرِي فَوالِدُهُ الْعَلاَ .

قال أي: وهذا البدر الثالث أبو عمرو بن العلاء البصري المازني من بني مازن بن مالك بن عمرو بن تميم بن مر ، والصريح هو الخالص

النسب وليس في السبعة من أجمع على صراحة نسبه غيره. وقال عنه ابن معين: ثقة. وقال أبو حاتم: ليس به بأس. وقال الشيخ شمس الدين: أبو عمرو قليل الرواية للحديث وهو صدوق حجة في القراءة. وقال أبو عبيدة : أبو عمرو أعلم الناس بالقراءات والعربية والشعر وأيام العرب.

وقال الأصمعي: كان لأبي عمرو كل يوم فِلْسان فِلْس يشتري به ريحاناً وفِلْس يشتري به كوزاً فيشمّ الريحان يومه ويشرب في الكوز يومه فإذا أمسى تصدّق بالكوز وأمر الجارية أن تجفف الريحان وتدقه في الأشنان ثم يستجد غير ذلك في كل يوم.

وقال عنه الذهبي: برز في الحروف – أي القراءات – وفي النحو، وتصدر للإفادة مدة، واشتهر بالفصاحة والصدق وسعة العلم. وقال أبو عمرو الشيباني: ما رأيت مثل أبي عمرو.

وأورد الإمام الجزري عن الأخفش قال: مرّ الحسن بأبي عمرو وحلقته متوافرة والناس عكوف فقال من هذا فقالوا أبو عَمرو فقال لا إله إلا الله كادت العلماء أن تكون أرباباً كل عزّ لم يُؤكّد بعلم فإلى ذلّ يؤول.

منهجه فِي القراءة :

يقول الشيخ عبد الفتاح القاضي عن منهج الإمام أبي عمرو البصري في القراءة :

1 – له بين كلّ سورتين البسملة ، السكت ، الوصل ، سوى الأنفال وبراءة فله القطع ، السكت ، الوصل ، وكل منها بلا بسملة .

2 – له من رواية السوسي إدغام المتماثلين نحو الرحيم ملك ، والمتقاربين نحو وشهد شاهد ، والمتجانسين نحو ربكم أعلم بكم بشروط خاصة.

3 – له في المدّ المتّصل التوسّط من الروايتين ، وله في المد المنفصل القصر والتوسط من رواية الدوري، والقصر فقط من رواية السوسي.

4 – يسهّل الهمزة الثانية من الهمزتين الواقعتين في كلمة مع إدخال ألف بينهما.

5 – يسقط الهمزة الأولى من الهمزتين الواقعتين في كلمتين المتفقتين في الحركة وبغير الهمزة الثانية من المختلفتين كما يغيّرها ابن كثير.

6 – يبدل الهمزة الساكنة من رواية السوسي نحو « المؤمنون »، «الذنب »، « اطمأننتم »، سوى ما استثناه له أهل الأداء.

7 – يدغم ذال إذ في حروف مخصوصة نحو « إذ دخلوا » ، ودال في حروف معيّنة نحو « فقد ظلم »، وتاء التأنيث في بعض الحروف نحو « كذبت ثمود » ، ولام هل في « هل ترى من فطور » ، « هل ترى لهم من باقية » ويدغم بعض الحروف الساكنة في بعض الحروف

القريبة منها في المخرج نحو « نبذتها » ، « عُذت » ، « ومن يُرد ثواب ».

8 – يقلّل الألفات من ذوات الياء إذا كانت الكلمة التي فيها الألف على وزن فَعلى بفتح الفاء نحو «السلوى» ، أو كسرها نحو «سيماهم»، أو ضمّها نحو « المُثلى» ، ويميل الألفات من ذوات الياء إذا وقعت بعد راء نحو « اشترى »، « الذكرى »، « النصارى » ويميل الألفات التي وقع بعدها راء مكسورة متطرفة نحو «على أبصارهم »، « من ديارهم». ويميل الألف التي وقعت بين راءين الثانية منهما متطرّفة مكسورة نحو «إنّ كتاب الأبرار » . ويميل ألف لفظ الناس المجرور من رواية الدوري.

9 – يقف على التاءات التي رُسمت في المصاحف تاء بالهاء نحو « بقيت الله خير لكم » ، « إن شجرة الزقوم ».

10 – يفتح ياءات الإضافة التي بعدها همزة قطع مفتوحة نحو « إنّي أعلم » أو مكسورة نحو « فإنّه منّي إلا من اغترف غَرفة بيده » ، والتي بعدها همزة وصل مقرونة بلام التعريف نحو «لا ينال عهدي الظالمين»، والتي بعدها همزة وصل مجردة عن لام التعريف نحو «هارون أخي أشدد » .

11 – يثبت بعض ياءات الزوائد وصلاً نحو « أُجيب دعوة الداع إذا دعان » ، « ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام ».

وفاته :

عاش الإمام أبو عَمرو بن العلاء البصري حوالي 85 سنة وتوفي بمكة سنة 154 هـ ، 771 م .

قال أبو عمرو الأسدي: لما أتى نعي أبي عمرو أتيت أولاده فعزيتهم عنه فأني لعندهم إذ أقبل يونس بن حبيب فقال نعزّيكم وأنفسنا بمن لا نرى شبهًا له آخر الزمان والله لو قسم علم أبي عمرو و زهده على مائة إنسان لكانوا كلّهم علماء زهّاداً والله لو رآه رسول الله صلى الله عليه وسلم لسرّه ما هو عليه.

يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي:

هو يعقوب بن إسحاق بن يزيد بن عبد الله بن أبي إسحاق الحضرمي البصري. و كنيته : أبو محمد ، و كانت وفاته سنة خمس ومائتين وله ثمان وثمانون سنة.

وله كتاب سمّاه (الجامع) جمع فيه عامة اختلاف وجوه القراءات ونسب كلّ حرف إلى من قرأ به ، وكتاب (وقف التمام) وكان يأخذ أصحابه بعدّ آي القرآن ، فإن أخطأ أحدهم في العدّ أقامه.

أخذ القراءة عرضاً على أبي المنذر سلام بن سليمان الطويل المزني ، وعن شهاب وأبي يحيى ، وأبي الأشهب جعفر بن حيان العطاردي ، ومهدي بن ميمون.

وقيل إنه قرأ على أبي عمرو نفسه ، وسمع الحروف من حمزة و الكسائي

، وقرأ سلام على عاصم الكوفي وعلى أبي عمرو ، وقرأ شهاب على هارون بن موسى الأعور النحوي وعلى المعلّى بن عيسى . وقرأ هارون على عاصم الجحدري وأبي عمرو بسندها. وقرأ مهدي على شعيب . وقرأ أبو الأشهب على أبي رجاء عمران بن ملحان العطاردي . وقرأ أبو رجاء على أبي موسى الأشعري ، وقرأ أبو موسى على رسول الله صلّى الله عليه وسلم ، وهذا سند في غاية العلوّ والصحة.

وكان يعقوب أعلم الناس في زمانه بالقراءات والعربية والرواية وكلام العرب والفقه ،

انتهت إليه رياسة الإقراء بعد أبي عمرو ، وكان إمام جامع البصرة سنين.

قال أبو حاتم السجستاني : هو أعلم من رأيت بالحروف واختلاف القراءات ومذاهبها ، وعللها ، ومذاهب النحاة ، وهو أروى الناس لحروف القرآن وحديث الفقهاء.

قال الحافظ أبو عمرو الداني : وائتم بيعقوب في اختياره عامة البصريين بعد أبي عمرو فهم أو أكثرهم على مذهبه.

قال الداني : وسمعت طاهر بن غلبون يقول : إمام الجامع بالبصرة لا يقرأ إلا بقراءة يعقوب. ثم روى الداني عن شيخه الخاقاني عن محمد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني أنه قال : وعلى قراءة يعقوب إلى هذا الوقت أئمة المسجد الجامع بالبصرة ، وكذلك أدركناهم.

أشهر من روى قراءته :

روى عنه القراءة خلق كثير ، منهم زيد بن أخيه أحمد، وعمر السراج، وأبو بشر القطان، ومسلم بن سفيان المفسر، ومحمد بن المتوكل المعروف برويس، وروح بن عبد المؤمن، وأبو حاتم السجستاني، وأيوب بن المتوكل، وأحمد بن محمد الزجاج، وأحمد شاذان ، وأبو عمرو الدوري وحدث عنه أبو حفص الفلاس وأبو قلابة، ومحمد بن عباد، قال ابن أبي حاتم : سئل أبي وأحمد ابن حنبل عنه فقال كل منهما : صدوق . قال أبو الحسن بن المنادى (في أول كتاب الإيجاز والاقتصار في القراءات الثمان) : كان يعقوب أقرأ أهل زمانه وكان لا يلحن في كلامه وكان السجستاني أحد غلمانه، وأشهر رواته رويس وروح.

رويس : هو محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري ، و كنيته : أبو عبد الله ، و لقبه : رويس . توفي بالبصرة سنة ثمان وثلاثين ومائتين.

أخذ القراءة عن يعقوب الحضرمي ، وهو من أحذق أصحابه. قال الزهري : سألت أبا حاتم عن رويس : هل قرأ على يعقوب ؟ قال : نعم ، قرأ معنا وختم عليه ختمتان ، وهو مقرئ حاذق ، وإمام في القراءة ماهر ، ومشهور بالضبط والإتقان.

روى عنه القراءة أُناس كثيرون ، منهم : محمد بن هارون التمار ، وأبو عبد الله بن الزبير و غيرهما .

روح : هو روح بن عبد المؤمن الهذلي البصري النحوي ، و كنيته : أبو الحسن . توفي سنة أربع أو خمس وثلاثين ومائتين.

عرض على يعقوب الحضرمي وهو رجل من أجَلِّ أصحابه وأوثقهم .وروى الحروف عن أحمد بن موسى ، وعبد الله بن معاذ ، وهما عن أبي عمرو البصري.

وروح مقرئ ثقة مشهور ضابط ، روى عنه البخاري في صحيحه ، وعرض عليه القراءة خلق كثير .

منهج يعقوب في القراءة :

_ 1 . له ما بين كل سورتين ما لأبي عمرو من الأوجه.

_ 2 . يقرأ من رواية رويس لفظ « الصِّرَاط » كيف وقع في القرآن معرّفاً أو منكراً بالسين.

_ 3 . يقرأ بقصر المدّ المنفصل ، وتوسط المد المتصل بقدر أربع حركات.

_4 . يقرأ من رواية رويس بتسهيل ثاني الهمزتين من كلمتين المتفقتين في الحركة ، أما المختلفتان فيها فيقرأ بتغيير ثانيتهما كما يقرأ أبو عمرو .

_ 5 . يقرأ من رواية رويس بتسهيل ثاني الهمزتين من كلمة من غير إدخال.

_ 6 . يقرأ من رواية رويس باختلاس هاء الكناية – في لفظ « بيده » حيث وقع.

_ 7 . يقرأ بالإدغام كالسوسي في بعض الحروف المتماثلة نحو « وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ » بالنساء ، « أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ ».

_ 8 . يقرأ بضم هاء كل ضمير جمع مذكر إذا وقعت بعد الياء الساكنة نحو فيهم عليهم ، وبضم كل هاء ضمير جمع مؤنث إذا وقعت بعد الياء الساكنة نحو عليهن – فيهن ، وبضم كل هاء ضمير مثنى إذا وقعت بعد الياء الساكنة نحو فيهما ، ويقرأ من رواية رويس بضم هاء ضمير الجمع إذا وقعت بعد ياء ساكنة ولكن حذفت الياء لعارض جزم أو بناء نحو أوَلَم يكفهم – فاستفتهم.

_ 9 . يقف على هذه الألفاظ بهاء السكت : « فيم – عم – مم – لم – بم – وهو – وهي – عليهن – لَدَيّ – إليّ – يا أسفي – يا حسرتى – ثَم » .

_ 10 . يسكن بعض ياءات الإضافة ، ويفتح بعضها.

_ 11 . يثبت الياءات الزائدة في رؤوس الآي وصلاً ووقفاً نحو « تَفْضَحُونِ –تَسْتَعْجِلُونِ » ، كما يثبت غيرها ممّا لم يكن في رؤوس الآي .

_12 . يقرأ « إِنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا » ، « وَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ » بكسر همزة إن في الموضعين.

_ 13 . يقرأ « يَرْفَعُ دَرَجاتٍ مَنْ يَشاءُ » بالياء في يرفع ، ويشاء في موضع النون فيهما.

_ 14 . يقرأ « فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا » في الأنعام بضم العين والدال وتشديد الواو المفتوحة .

_ 15 . يقرأ « مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُه » في طه ، بالنون المفتوحة في موضع الياء المضمومة ، مع كسر الضاد ونصب الياء في نقضي ، ونصب الياء في وحيه.

_ 16 . يقرأ « وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا » في التوبة بنصب التاء.

كانت هذه محاولة للوقوف على بواكير الدرس اللغوي العربي ، حيث كانت القراءات القرآنية من بين المصادر التي استقى منها اللغويون العرب مادتهم العلمية . ولئن تظافرت جهود طائفة كبيرة من العلماء من أجل النهوض بالدرس اللغوي إلى المستوى الذي يخدم متعلمي العربية من الأجيال الجديدة من جهة ، أو من الداخلين في دين الإسلام ، صونًا للقرآن الكريم من اللحن ، و فهمًا لما جاء به من أحكام ؛ فإنّ القراءات القرآنية كانت من المحطات التي احتاجت إلى تحليل العلماء و تعليلهم لتزويد الدرس اللغوي بعامة ، و الدرس النحوي بخاصة بآراء المختصين من قرّاء ونحويّين ؛ و كانت ثمرتها كما مرّ بنا خلافات بين مدرستي البصرة و الكوفة، أثرت الدرس اللغوي بآراء مُعلّلة حول مسألة الاحتجاج بالقراءات القرآنية .

وقد توقفنا في هذه المحاولة، أمام جهود عَلَمين من أعلام المدرسة البصرية ، هما أبو عمرو بن العلاء و يعقوب بن أبي إسحاق الحضرمي، وتعرفنا على منهجيهما في القراءة .

الهوامش :

1 – البحث عند اللغوي عند العرب ، مع دراسة لقضية التأثير و التأثر ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة . ط 4 ، 1402 هـ – 1982 م : ص 19 .

2 – الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان . (د . ت) : 1 /105.

3 – البحث اللغوي عند العرب : ص 21 .

4 – المؤمنون / 54 ، و الصافات/ 174 ، 178 ، و الذاريات / 43 .

5 – تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة . شرحه و نشره : السيد أحمد صقر . المكتبة العلمية ، بيروت . ط 3 ، 1401 هـ. 1981 م : ص 39 ، 40 .

6 – البحث اللغوي عند العرب : ص 22 .

7 – معجم القراءات القرآنية ، مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء ، عبد العال سالم مكرم ، أحمد مختار عمر . مطبوعات جامعة الكويت . ج 1 ، ط 1 : 1402 هـ – 1982 م . مقدمة المؤلفَين : 101/1 .

8– المرجع نفسه : 1 / 102 .

9. تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان : ج 2 ، ص 26 ، 27 .

10. ينظر : مقدمة كتاب : القرآن الكريم و آثره في الدراسات النحوية د . عبد العال سالم مكرم .

11. ينظر : طبقات الزبيدي : ص 41 .

12 . البيت من الطويل ، و هو لزفر بن الحارث الكلابي في ديوانه ص 162 ، وللفرزدق في المحتسب 1 / 338 ، و ليس في ديوانه ؛ ينظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، د . إميل بديع يعقوب ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ط 1 ، 1417 هـ. 1996 م : ج 1 / 555 .

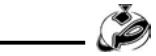

13 . ينظر : طبقات الزبيدي : ص 33 ؛ بل تعتبر من القراءات الشاذة .

14 . البيت من الكامل ، و هو للأخطل في ديوانه ص 387 ؛ و الأزهية ص 296 ، و الاشتقاق ص 338 ، ... ؛ ينظر : المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، د . إميل بديع يعقوب: ج 1 / 555 .

15 . القرآن الكريم و أثره في الدراسات النحوية ، عبد العال سالم مكرم : ص97 .

المراجع :

. القرآن الكريم برواية ورش عن الإمام نافع . مجمع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد لطباعة المصحف الشريف ، المدينة المنورة ، 1412 هـ .

1 – الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي . دار المعرفة ، بيروت ، لبنان . (د . ت) .

2 . البحث عند اللغوي عند العرب ، مع دراسة لقضية التأثير و التأثر ، د. أحمد مختار عمر ، عالم الكتب ، القاهرة . ط 4 ، 1402 هـ – 1982 م .

3 . تاريخ الشعوب الإسلامية ، كارل بروكلمان : ج 2 .

4 . تأويل مشكل القرآن ، لابن قتيبة . شرحه و نشره : السيد أحمد صقر . المكتبة العلمية ، بيروت . ط 3 ، 1401 هـ. 1981 م .

5 . القرآن الكريم و آثره في الدراسات النحوية د . عبد العال سالم مكرم .

6 . معجم القراءات القرآنية ، مع مقدمة في القراءات و أشهر القراء ، عبد العال سالم مكرم ، أحمد مختار عمر . مطبوعات جامعة الكويت . ج 1 ، ط 1 : 1402 هـ – 1982 م .

7 . المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية ، د . إميل بديع يعقوب ؛ دار الكتب العلمية ، بيروت ، لبنان . ط 1 ، 1417 هـ . 1996 م .

من مراجع البحث الأخرى :

1 . إبراز المعاني من حرز الأماني، أبو شامة عبد الرحمن بن إسماعيل .

2 . الحجة في القراءات السبع – لابن خالويه – تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم.

3 . إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم ، أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن خالويه.

4 . إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ، مصطفى صادق الرّافعي.

5 . الحجة في القراءات السبع ، لابن خالويه ، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم.

6 . الحجّة للقرّاء السّبعة ، أبوعليّ الفارسيّ تحقيق بدر الدّين قهوجي و بشير جويجاتي.

7 . سير أعلام النبلاء ، الذهبي .

8 . غاية النهاية في طبقات القراء ، ابن الجزري .

9 . الوافي بالوفيات ، الصفدي .